الأثر البلاغي للسياق الصوتي عند الواحدي دراسة تحليلية في تفسيره للقرآن الكريم المسمى بـــ "البسيط"

إعـــــــداد

أ.محمود محمد سيد أحمد الكومى

باحث دكتوراة بقسم اللغة العربية

كلية الآداب جامعة دمنهور

أ.د. محمد مصطفى ابو شوارب

أستاذ الأدب والنقد بكلية التربية

جامعة الإسكندرية

أ.د. إيمان فؤاد بركات

أستاذ الأدب والنقد العربي

كلية الآداب جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الثالث و الستون - يوليه -الجزء الأول - لسنة 2024

الأثر البلاغي للسياق الصوتي عند الواحدي دراسة تحليلية في تفسيره للقرآن الكريم المسمى بـ"البسيط"

أ.محمود محمد سيد أحمد الكومى

أ.د. محمد مصطفى ابو شوارب

أ.د. إيمان فؤاد بركات

الملخص:

تناولت هذه الدراسة: (الأثر البلاغي للسياق الصوتي عند الواحدي دراسة تحليلية في تفسيره للقرآن الكريم المسمى بـ"البسيط") حيث عني الواحدي بالسياق الصوتي في تفسيره للقرآن الكريم وكشف عن دلالته وما يحمله من مضامين بلاغية يتحقق من خلالهما غايات الخطاب القرآني العليا وما ينتج عن ذلك من تحقق لعمليتي الإقناع والإمتاع، ما يفضي إلى الامتثال والإذعان لهذا الخطاب السماوي المعجز، وقد اشتملت الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة وتناولت: موضوعَ البحثِ وسبب اختياره وأهميَّته وأهداف الدراسة ومنهجها. ثم التمهيد وقد تناول الحديث عن أهمية السياق الصوتي، وأثره البلاغي، حيث بينت الدراسة أن السياق الصوتي أحد مكونات وركائز السياق اللغوي، وكشفت عن العلاقة بين الصوت والمعنى وذلك لأن الألفاظ تكتسب قيمتها الدلالية من الجرس الصوتي الذي يعزز سمة التأثير على المتلقي، كما تحمل الأصوات قيما جمالية وطاقات إيحائية متضمنة داخل السياق تكشف بدورها عن الجوانب التحسينية والجمالية للغة الخطاب بقصد الإفهام والإمتاع. وقد تآلفت ألفاظ القرآن الكريم جميعها من حروف وأصوات متآلفة يستريح لتآلفها السمع وتنسال على الألسنة كالماء العذب، وقد وجه القرآن الكريم إلى ضرورة مراعاة الجانب الصوتي وذلك عن طريق التلقي الشفهي للقرآن الكريم.

وقد تناول المبحث الأول: التلاؤم الصوتي وأثره البلاغي في التفسير البسيط للواحدي وكشفت الدراسة عن عناية الواحدي بالجانب الصوتي في القرآن من خلال ما تناوله الواحدي من قراءات قرآنية في تفسيره، وبينت الدراسة أن التلاؤم الصوتي في القرآن الكريم يشمل بصورة متكاملة سياق النص القرآني كله، بشتى أنماط التآلف الصوتي كتلاؤم الحركات والصوامت والتآلف اللفظي وغيرها من ألوان التآلف الصوتي، كما تناول المبحث الثاني: الأثر البلاغي لسياقات الأداء الصوتي(النبر والتنغيم) فبينت الدراسة دور الأداء الصوتي المتمثل في ظاهرتي النبر والتنغيم ودور السياق في تحقيق دلالتهما، حيث يحمل

النبر قيما دلالية ترتبط ارتباطا كليا بسياق الحال والمقام ، وكذلك التنغيم حيث يعملان على شد انتباه السامع وإفهامه حيث يهيمن التنغيم على دلالة الأسلوب ويضمنه معان بلاغية تقتضيها الأحوال والمقامات وهذا ما كشفت عنه الدراسة عند الواحدي في التفسير البسيط.

وقد تناول المبحث الثالث الأثرالبلاغي للإيحاء الصوتي وعرضت الدراسة لنماذج ذلك من خلال تفسير الواحدي للقرآن الكريم تجلت فيها أثر السياق بلاغيا من خلال تلك الألفاظ ذات الإيحاءات الصوتية المعبرة. ثم خاتمة تناول البحث فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ومن أهمها عناية الواحدي بالسياق الصوتي وما ينتج عنه من دلالات ومضامين بلاغية، وقد استندت البحث في دراسته على المنهج التكاملي وذلك لطبيعة الدراسة السياقية ذات المحاور المتعددة.

The rhetorical impact of the phonetic context according to Al-Wahidi, an analytical study in his interpretation of the Holy Qur'an called" Al-baseet

Study summary:

This study dealt with *The rhetorical impact of the phonetic context according to Al-Wahidi, an analytical study in his interpretation of the Holy Qur'an called" Al-baseet* where Al-Wahidi was concerned with the phonetic context in his interpretation of the Holy Qur'an and revealed its significance and the rhetorical implications it carries through which the higher goals of the Qur'anic discourse are achieved and what results from it. This is the fulfillment of the processes of persuasion and enjoyment, which leads to compliance and submission to this miraculous heavenly speech. The study included an introduction, a preface, three sections, and a conclusion.

The introduction dealt with: the topic of the research, the reason for choosing it, its importance, and the objectives and methodology of the study. Then the introduction dealt with the importance of the vocal context and its rhetorical impact, as the study showed that the vocal context is one of the components and pillars of the linguistic context, and revealed the relationship between sound and meaning, because words gain their semantic value from the vocal timbre that enhances the characteristic of influence on the recipient, and the sounds also carry Aesthetic values and suggestive energies embedded within the context, in turn, reveal the improving and aesthetic aspects of the language of discourse with the intention of understanding and entertaining. All the words of the Holy Qur'an are composed of letters and consonant sounds that are comfortable for the hearing and flow on the tongues like fresh water. The Holy Qur'an has directed to the necessity of taking into account the phonetic aspect through the oral reception of the Holy Qur'an.

The first section dealt with: phonetic harmony and its rhetorical impact in the " Al-baseet" interpretation of Al-Wahidi. The study revealed Al-Wahidi's attention to the phonetic aspect of the Qur'an through the Qur'anic readings that Al-Wahidi addressed in his interpretation. The study showed that phonetic harmony in the Holy Qur'an includes in an integrated manner the context of the entire Qur'anic text, in various ways. Patterns of vocal harmony, such as the harmony of movements, consonants, verbal harmony, and other types of vocal harmony. The second section also dealt with: the rhetorical impact of the contexts of vocal performance (stress and intonation) . The study showed the role of vocal performance represented by the phenomena of stress and intonation and the role of the context in achieving their significance, as stress carries semantic values that are related to Completely linked to the context of the situation and position, As well as intonation, as they work to attract the attention of the listener and his understanding, as intonation dominates the significance of style and includes rhetorical meanings required by conditions and positions, and this is what Al-Wahidi's study revealed in the " Al-baseet" interpretation.

The third section dealt with the rhetorical effect of vocal suggestion, and the study presented examples of this through Al-Wahidi's interpretation of the Holy Qur'an, in which the effect of context was demonstrated rhetorically through those words with expressive vocal suggestion.

Then, there is a conclusion in which the research discusses the most important findings of the study, the most important of which is Al-Wahidi’s attention to the phonetic context and the connotations and rhetorical implications that result from it. The research based its study on the integrative approach due to the nature of the contextual study with multiple attempts.

انطلاقا من العلاقة الوطيدة بين الصوت والمعنى في الخطاب اللغوي الذي يعتمد على الأصوات الكلامية، والتي تكسب الألفاظ قيمتها الدلالية والتأثيرية بدأً من الجرس الصوتي الذي يعزز سمة التأثير على المتلقي، وما تحمله الأصوات من قيم جمالية وطاقات إيحائية متضمنه داخل السياق تكشف بدورها عن الجوانب التحسينية والجمالية للغة الخطاب بقصد الإقناع والامتاع، عمدت الدراسة إلى الكشف عن هذا الأثر الجمالي للسياق الصوتي عند عالم فذٍ من علماء التفسير والتأويل وهو الإمام: أبو الحسن، علي بن أحمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي المتوفى سنة 468هـ، وذلك تحت عنوان:

الأثر البلاغي للسياق الصوتي عند الواحدي دراسة تحليلية

في تفسيره للقرآن الكريم المسمى بـ"البسيط"

ليقدم البحث دراسة وافية عن الأثر البلاغي للسياق الصوتي عند الإمام الواحدي في تفسيره للقرآن الكريم بهدف تقديم دراسة سياقية بلاغية دقيقية للنص القرآني المعجز الذي" لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"(1)، في محاولة من الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

-هل التفت الواحدي للسياق في تفسيره " البسيط" للقران الكريم؟

-كيف تناول الواحدي السياق الصوتي في تفسيره؟

-ما المواطن التي تجلت فيها بلاغة السياق الصوتي في التفسير البسيط للواحدي؟

-ما الآثار البلاغية للسياق الصوتي في التفسير البسيط للواحدي؟ كل هذه التساؤلات وغيرها سيحاول البحث جاهدا الكشف عنها والإجابة عليها في دراسته.

وبعد محاولة الباحث في الاطلاع على الدراسات البلاغية للسياق لم يجد من بينها دراسة تناولت بلاغة السياق الصوتي عن الواحدي في تفسيره البسيط للقرآن الكريم، وإنما توصل الباحث إلى عدد من من الدراسات والأبحاث التتي تناولت السياق بلاغيا منها :

١-السياق وتوجيه دلالة النص مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، د/ عيد بلبع، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 2007م.

٢-أثر السياق في اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية، د/ إبراهيم صلاح الهدهد، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ط2، 2018م .

٣-عقيد خالد العزاوي: أ- جماليات السياق القرآني، ط1، دار العصماء،سوريا،2016م. ب- البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ، ط 1، دار العصماء، سورية 2016.

وغيرها من الدراسات الأخرى، وقد أفاد منها الباحث إفادة كبيرة كما استعان ببعض كتب التفسير الأخرى في دراسته.

وقد اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بالمنهج التكاملي في الدراسة لما تتسم به طبيعة الدراسة السياقية من تشعب وتوسع.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون مقسمة على ثلاثة مباحث تسبقه مقدمة فتمهيد، وتعقبها خاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، وفهرس لمحتوى البحث.

المُقدِّمَةُ: وتتناولُ: موضوعَ البحثِ وسبب اختياره وأهميَّته وأهداف الدراسة ومنهجها.

التمهيد: ويتناول: الحديث عن أهمية السياق الصوتي وأثره البلاغي

المبحث الأول: التلاؤم الصوتي وأثره البلاغي.

المبحث الثاني: الأثر البلاغي للأداء الصوتي (النبر والتنغيم)

المبحث الثالث: الأثر البلاغي للإيحاء الصوتي.

ثم خاتمة: تناولت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ثم قائمة تضمنت: أهم المصادر والمراجع التي استندت إليها الدراسة.

ثم فهرس لمحتوى البحث. وبعد، فما كان لهذا البحث أن يخرج إلى النور لولا توفيق من الله – سبحانه وتعالى– للباحث، والله الموفق والمستعان.

أهمية السياق الصوتي وأثره البلاغي

السياق الصوتي أحد مكونات السياق اللغوي فإذا" كان السياق اللغوي هو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، فإن السياق الصوتي هو النظم اللفظي للصوت في إطار الأصوات الأخرى على مستوى الكلمة أو الجملة".(1) و الصوت هو أصغر وحدة ذا سمات خاصة في الكلمة على أساسة تتضح دلالتها اللغوية، "من خلال صفته ومخرجه وموقعه في الكلمة ضمن التركيب"(2) في ترتيب وانسجام سياقي متكامل، وبالنظر إلى

السياق الصوتي نجد أنه ذا ملامح تركيبية، و ملامح غير تركيبية " تقع خارج البنية اللغوية، ... لأنها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية، وتتمثل في النبر والتنغيم"(3) وترتبط بالأداء الكلامي بشكل تام، لأن العملية الكلامية "مترابطة، يقود بعضها إلى بعض حتى تتم الدائرة بين المتكلم والسامع في أبسط موقف من المواقف اللغوية"(4) .

إنَّ الصوت اللغوي بهذا الاعتبار يقع موقع الرسالة في العملية الكلامية ويحمل بلا شك وظيفة إبلاغية تواصلية بين الطرفين، ومن ثم فإن الصوت اللغوي يتلون بين" صور نطقية عدة، تتنوع بتنوع السياق الذي يقع فيه. ... هذا التنوع ليس مقصورا على بعض الأصوات دون بعض، أو على نطق بعض الأفراد دون غيرهم "(5) . كما أن هذا التنوع الصوتي لا ريب في أنه يحمل معان تتلائم مع سياق الكلام، يقول الدكتور كمال بشر:"الفونيم، على أحسن الأقوال وأقربها من وجهة نظرنا، هو وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معاني الكلمات وليست حدثا صوتيا منطوقا بالفعل في سياق محدد.فالفونيمات أنماط الأصواتtypes of sounds ، والمنطوق بالفعل هو صورها وأمثلتها الجزئية التي تختلف من سياق إلى آخر. فالكاف فونيم وكذلك الجيم والقاف. أما الصورة النطقية المختلفة لكل واحدة منها فهي أمثلتها variants أو ما سمى phones أو allophones، والأخير أكثر استعمالا وأحدث من سابقه، كذلك الفونيمات بهذا المعنى – محدودة معدودة في كل لغة ولكن عصورها النطقية أو الأحداث النطقية الفعلية كثيرة كثرة فائقة... ".(6).

وبهذا فالعلاقة وطيدة بين الصوت والمعنى في الخطاب اللغوي الذي يعتمد على الأصوات الكلامية، حيث تكتسب الألفاظ قيمتها الدلالية من الجرس الصوتي الذي يعزز سمة التأثير على المتلقي، كما تحمل الأصوات قيما جمالية وطاقات إيحائية متضمنه داخل السياق تكشف بدورها عن الجوانب التحسينية والجمالية للغة الخطاب بقصد الإفهام والامتاع ، وهذه القيم الصوتية مرتبطة بجميع الفنون اللغوية ولكن بشكل متفاوت حسب سياقات الكلام وطبيعته.

ويأتي الخطاب القرآني في أعلى قمة من الإقناع والإمتاع والتأثير فهو كلام الله المعجز للخلق في أصواته وألفاظه وتراكيبه وأسلوبه ونظمه " كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"(1) "وقد اعتنى القرآن الكريم باختيار الأصوات الدقيقة المناسبة للأحوال الدلالية المختلفة؛ لأن للأصوات والحروف حرارة وتوهجًا يُضيئ المعنى المراد، فكانت كل كلمة بما تتألف به من أصوات مناسبة لصورتها الذهنية، فما كان يستلذه السمع ويستميل النفس فحظه من الأصوات الرقة والعذوبة، وما كان يخيفها ويزعجها فحظه من

الأصوات الشدة وهذا التناسب الصوتي بين اللفظ والمعنى وسيلة سياقية من وسائل تنبيه مشاعر الإنسان الباطنة واستثارة المعاني النفسية المناسبة للموقف الخارجي"(2(

وتتألف ألفاظ القرآن من حروف وأصوات متآلفة يستريح لتآلفها السمع وتنسال على الألسنة كالماء العذب، حيث حرص الخطاب القرآني على الجانب الصوتي والأدائي وذلك من خلال التلقي الشفهي للقرآن الكريم حيث الأمر الإلهي في قوله تعالى " فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "(3) وقوله تعالى:" وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا "(4) فما أن تستجيب نفسك لخطاب ربك وترتل القرآن ترتيلا أو تلق سمعك للقارئ المجود الذي يقرأ القرآن ويرتله حق ترتيله" نازلا بنفسه على هوى القرآن وليس نازلا بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكانا قصيا، لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ومداتها وغنتها واتصالاتها وسكتاتها؛ ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية؛ وقد جردت تجريدا وأرسلت ساذجة في الهواء، فستجد منها بإزاء لحن غريب عجيب، لا تجده في كلام آخر، لوجود هذا التجريد، لا تجده في وجود هذا التجويد"(5)

إن هذا التوجيه الرباني تتسع آفاقه شاملة جوانب حفظ البلاغ السماوي المنزل على خير البشرصلى الله عليه وسلم

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"(6) حفظ لأصواته وألفاظه، وخصائصه وأساليبه وسياقاته ومعانيه حفظ يقتضي ديمومة الخطاب القرآني للبشرية جمعاء ومناسبته لكل العصور فاتسمت لغته بسمات ميزته عن نصوص الشعر والنثر فكان نظمه في غاية البلاغة والصياغة في تآلف عجيب و "قدرة إعجازية لا يناظرها نص آخر في القدرة التصويرية والإيحائية التي تمتعت بها ألفاظه ؛... من خلال تساوق إيقاعاتها داخل سياق النص القرآني، وما لذلك الإيقاع من دلالة إيحائية تنبئ عن دلالات ومعانٍ قد لا تعبر عنها اللفظة منفردة وحدها بجرسها وأصواتها إلا حين تكتسي بحلة السياق القرآني"(1)

لقد نزل القرآن الكريم في تلك البيئة العربية متحديا العرب في أكثر ما برعوا فيه، فتحداهم في لغتهم وفصاحتهم وبلاغتهم، فبهتت عقولهم إذ سمعوا أصواتا وألفاظا ونظما متآلفا لا قبل لهم به " قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"(2)

فكان الخطاب القرآني أعلى قمم الفصاحة والبلاغة، يتلوه في فصاحته وبلاغته البيان النبوي الشريف، ثم الخطاب الشعري الذي هو ديوان العرب وموطن مفاخرهم وأمجادهم في مرحلة تالية للبيان النبوي قال تعالى :" وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ "(3) ، وإذا كان القرآن نزل بلسان عربي مبين فإن الشعر العربي يحمل سمات

هذا اللسان العربي، ومن ثم فإن هناك علاقة وطيدة بين الشعر العربي والقرآن الكريم حيث يوضح الدكتور/ عيد بلبع هذه العلاقة بقوله: " ارتباط الشعر الجاهلي بوصفه سياقا للقرآن الكريم ارتباط موافقة على المستوى التفسيري"(4) وكذلك ترتبط كل الفنون بهذا اللسان العربي المتمثل في الشعر الجاهلي الذي يعد ديوان العرب الأول وأول هذه الفنون فالشعر العربي كله سياق للشاعر العربي، لذا فمن الضروري لمن يتعرض لتفسير آيات الذكر الحكيم أن يكون على دراية بفنون الشعر والنثر وعالما بعلوم اللغة فقد اشترط علماء القرآن على من يريد أن يشتغل بعلم التفسير

"أن يكون متبحرا في كثير من العلوم التي لا يمكنه أن يفهم النص القرآني ويستخرج أحكامه وحكمه بدونها، لأن الجمع بين علوم ومعارف شتى هو الذي سيتيح له الاستعانة بما يقتضيه السياق ويفرضه المقام داخل النص القرآني، وفي مقدمة هذه العلوم علوم اللغة العربية أصواتا وصرفا ونحوا وبلاغة"(5) وكان الواحدي من هؤلاء المفسرين للقرآن الكريم والدارسين للشعر العربي الذين لهم باع كبير بعلوم اللغة العربية وفنونها في الكشف عن معاني ودلالات الألفاظ القرآنية وشرح ديوان المتنبي مع حرصه على الكشف عن تلك المعاني والأسرار البلاغية من خلال السياق اللغوي وغير اللغوي وهذا ما يحاول البحث الكشف عنه لدى الواحدي في تفسيره للقرآن الكريم وشرحه لديوان المتنبي حيث يتناول هذا المبحث الكشف عن مراعاة الواحدي للقيم الصوتية ودورها في الكشف عن الدلالات السياقية في تفسيره البسيط:

المبحث الأول: التلاؤم الصوتي وأثره البلاغي

وانطلاقا من كون اللغة وسيلة للإفهام وأن الكلام يساق لأغراض تعبيرية يفصح به المتكلم عن مقاصده فإن ذلك سبيله "سهولة الكلام في النطق، وحسنه في السمع، وتقبل النفس لمعناه"(1) ومن هنا رأى البلاغيون ضرورة التلاؤم والتآلف الصوتي شرطا في فصاحة الكلمة والكلام ويرون ضرورة البعد عن كل "ما يعتري الكلمة المفردة أو الكلام المؤلف من ثقل يشكل عبئا على النطق، ... لأنه يتطلب جهدا عضليا زائدا على اللسان الذي هو آلة النطق"(2) وهذا التنافر ينتج عن تقارب المخارج أو تباعدها أو قد يكون ناتجا عن عدم ملائمة الصوت للسياق(3)؛ وكان العرب يعدلون عن الأثقل في كلامهم إلى الأخف طلبا للاستحسان ووضوحا للمعنى، ولا ريب في أن القرآن الكريم أعلى قمة في الفصاحة والبلاغة حيث " تتميز لغة القرآن الكريم بالتلاؤم بين الأصوات المكونة لها سواء كان ذلك التلاؤم على مستوى اللفظة المفردة وأصواتها أم على مستوى النظم للعبارة القرآنية وأصواتها بصفة عامة".(4)

إن التلاؤم الصوتي في القرآن الكريم يشمل بصورة متكاملة سياق النص القرآني كله حيث تآلفت " كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر، لكان ذلك خللا بينا، أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حسن السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراءة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت لذلك هجنة من السمع، ..."(5) ومن هنا كان التلاؤم الصوتي في القرآن الكريم أحد وجوه إعجازة ومُسَلَّمة من مسلمات الدرسات القرآنية ولعل وضوح هذا التلاؤم الصوتي للنص القرآني جنح ببعض المفسرين إلى عدم التعرض له لجلائه، ولكن ذلك لم يثن دراستنا عن تسليط الضوء على هذا الوجه الإعجازي في البيان القرآني لذا فإن البحث سيحاول الكشف عن إشارات الواحدي (الظاهرة والضمنية) للتلاؤم الصوتي في النص القرآني، وأثر ذلك في المعنى من خلال تعرضه لسياقات القراءات القرآنية.

فمن أنماط التآلف الصوتي ذاك التآلف الناتج عن تلاؤم الحركات بما يتآلف مع النظم وسياق الكلام ومن ذلك ما ذكره الواحدي من قراءات في قوله تعالى:" فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا"(6) فقد بين الواحدي قراءتين في" سِخريًّا "حيث قُرئ بكسر السين وضمها يقول الواحدي:" وقُرئ بكسر السين ها هنا وفي سورة "ص" وأجمعوا على الضم في سورة الزخرف"(1) وإذا ما تتبعنا سياق الضم في سورة الزخرف لوجدنا أن قراءة الضم تتآلف مع سياق الآيات في قوله تعالى:" وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ"(2)؛ فقد ذكر الواحدي معنيين في "سِخرِيًّا" المعنى الأول: قول السُّدي وابن زيد وهو أن يستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الفقراء، والمعنى الثاني: وهو قول مقاتل والكلبي: أن يملك بعضهم بمالهم بعضا فيتخذونهم عبيدا ومماليك، وبيَّن الواحدي أن التسخير يحتمل القولين، لأن التسخير يكون بالأجر ويكون بالملك. إلا أن" سِخرِيًّا"بالكسر فيها معنى الهُزْءُ"(3)، أما "سُخريا" بالضم فهي أكثر دلالة على معنى الانقياد لذا كانت متآلفة في هذا السياق وتكون دلالة سُخريا على معنى السخرة المفهم معنى انقياد بعضهم لبعض في الأمور التي لو لم يتبع فيها بعضهم لبعض لم يلتئم قوام العالم، وإذا ما رجع البصر كرة أخرى في تآلف هذه اللفظة القرآنية مع سياق النظم القرآني للآية الكريمة " أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" لوجدت انسجاما عجيبا لتآلفها مع تركيب الآية المبدوء بالاستفهام الإنكاري في قوله: " أهم يقسمون رحمت ربك" فكيف يعترضون على الله بقولهم لم لم ينزل هذا القرآن على غير محمد؟! فالله قسم النبوة كما قسم الرزق في المعيشة فليس لأحد أن

يتحكم في شيئ من ذلك، وكما فضلنا بعضهم فوق بعض في الرزق والمنزلة، كذلك اصطفينا للرسالة من نشاء، فقد نبه الله عزوجل بالأدنى على الأعلى وإذا كان الأمر كذلك فإن الانقياد لله تعالى أولى من الاعتراض عليه،(4) ثمَّ إنَّ نظم لفظة "سُخريا" بعد قوله:" درجات" يوحي بأن جميع العباد داخل في التسخير للآخر وهذا ما فيه إيحاء بعجزهم جميعا وحاجاتهم إلى غيرهم".(5)

وفي سورة "المؤمنون" قرئ " سِخْرِيًّا " بالكسر والضم في قوله تعالى:" فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ"، يقول الواحدي: "وذهب قوم إلى الفرق بينهما. قال يونس: سُخريا من السُّخرة مضموم، ومن الهزء سخري. وقال أبو عبيدة سِخريا يسخرون منهم وسُخريا يسخرونهم"(6) وقد رجح أبو علي قراءة الكسر في هذه الآية، يقول الواحدي: "قال أبو علي: القراءة بكسر السين أرجح من قراءة من ضم، لأنه من الهزءِ، والأكثر في الهزء كسر السين فيما حكوه. ونرى أنه إنما كان أكثر لأن السَّخر مصدر سَخَرْتُ. حكاه أبو زيد"(7) فسياق الآيات يتحدث عن استهزاء كفار قريش بالمؤمنين وقد أتت لفظة " سِخْرِيًّا " بالكسر متآلفة مع السياق العام للآيات، "والمعنى أنكم أيها المتخذون عبادي سُخريا نسيتم ذكري باشتغالكم باتخاذكم إياهم سِخريا والضحك منهم. أي: تركتموه من أجل ذلك، فنسب الإنساء إلى عباده المخلصين وإن لم يفعلوه لما كانوا كالسبب لإنسائهم".(1) وإذا كان الخطاب للمشركين وهم عالمون بمضمون الخبر فإنَّ التآلف اللفظي للفظة "سِخْرِيًّا" مع مضمون النظم يكون أكثر وقعا وأشد ألما على هؤلاء المشركين الذين عمت أبصارهم وقلوبهم وسخروا من أهل الإيمان، وتذكيرهم بسخريتهم من المؤمنين يحمل معنى السخرية من هؤلاء المشركين جميعا في الآخرة، وهي معصية عامة وقع فيها جميع المشركين، قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام: "وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنهُ قالَ إنْ تَسْخَرُوا مِنّا فَإنّا نَسْخَرُ مِنكم كَما تَسْخَرُونَ".(2)

وتتآلف حركة الضم المكررة في لفظة " نُكُر" في قوله تعالى:" فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ"(3) مع سياق نظم الآيات، حيث نلمح أشارة الواحدي إلى تكرار حركة الضم في معرض تفسيره للآية الكريمة إذ يقول:" ونكر معناه منكر، وهو الذي تأباه النفس من جهة نفور الطبع؛ وذلك أنهم لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له، وهو صفة على فُعُل، مثل: جنب، وجزر، وأحد، ويجوز التخفيف، وإنما وصف بأنه نُكُر لغلظه على النفس"(4) فقد توالت حركة الضم رغم ثقلها، في لفظة " نُكُر" وبين الواحدي أنها صفة على وزن فُعُل، وهو وزن قليل في الصفات ومع ذلك أتت لفظة " نُكُر " متآلفة مع النَّظم القرآني وفي غاية الفصاحة يقول الدكتور/ أسامة عبد العزيز جاب الله: " توالت فيها حركتان ثقيلتان؛ ضمتان

ومع ذلك لا يستطيع أحد أن ينكر فصاحتها أو خفتها على اللسان حين الأداء الصوتي لها، كما أننا لم نجد من يزعم نبوها في السمع"(5)، لقد تساوقت اللفظة في سياق النظم القرآني المفهم معنى التهديد في قوله تعالى:" فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ"، والأمر بالتولِّي مؤذن بالوعد والوعيد(6)، وهذا التَّولِّي يوم يدع الداع يقول الواحدي:" قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد يوم القيامة"(7)، ثم إن هؤلاء المشركين منكرين لأهوال يوم القيامة وقد أتت لفظة "شيئ" نكرة مبْهمة وموحية بأهوال القيامة، متبوعة بصيغة "فُعُل" الدالة على المبالغة في إنكارهم لتلك المخاطر والأهوال لهذا اليوم العصيب، فإذا بهم "خُشَّعًا أبْصارُهم يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْداثِ كَأنَّهم جَرادٌ مُنْتَشِرٌمُهْطِعِينَ إلى الدّاعِ يَقُولُ الكافِرُونَ هَذا يَوْمٌ عَسِرٌ"، وعلى ذلك فسياق الآيات يكشف كشفا جليا عن حالة الرهبة والخوف التي تمتلك هؤلاء المشركين نتيجة ما يرونه من أهوال منكَرَة لنفوسهم.

وقد توالت حركة الفتح وهي من أخف الحركات في لفظة " الْمَفَرُّ" في قوله تعالى: " يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ"(1) مناسبة لحالة الفرار التي تنتاب الإنسان المكذب يوم القيامة، يقول الواحدي: "قوله:" يَقُولُ الْإِنسَانُ"، يعني: المكذب بيوم القيامة. "أَيْنَ الْمَفَرُّ" أي الفرار." قال الأخفش، وأبو إسحاق: عند جميع أهل العربية أن المصدر من فعَل، يفعِل، مفتوح العين، وقراءة العامة: (المفَر) بفتح الفاء، فيكون معناه الفرار. والمفسرون يقولون في تفسيره: المهرب، والملجأ، فيكون ذلك على قراءة من قرأ: (المفِر) بكسر الفاء، لأن المكسور العين من هذا الباب معناه: الموضع."(2) وإذا كان الواحدي قد ذكر قراءة الكسر إلا أن مضمون كلامه يدل على ميله لقراءة الفتح ولأن قراءة الكسر قراءة شاذة كما ذكر محقق التفسير لعدم صحة سندها"(3)؛ وتتآلف قراءة العامة مع سياق الآيات في مناسبة تكرار صوت حركة الفتح خفيفة النطق لحالة حركة فرار الإنسان وحالة الهلع الشديد من أهوال ذلك اليوم، تلك الصورة الدالة على الاضطراب وعدم السكون أو الاستقرا كشفت عنها لفظة (المفَر) ذات حركات الفتح الخفيفة في انسجام تام متآلف مع النظم بما يوحي بهذه الحالة التي يتطلع إليها كل إنسان من البحث عن الفرار الذي ينجيه من هول القيامة، فالأمر ليس أمرا عابرا بمجرد سؤال سائل"أَيْنَ الْمَفَرُّ"؟ إنه سؤال مقرون بالتحرك والبحث الشديد عن مخرج للفرار وفي التعبير القرآني بلفظ " الْإِنسَانُ" جلاء لتلك الجلبة الناتجة عن البحث والتساؤل، وكأن كل إنسان لا يكتفي ببحث غيره أو سؤاله فيتول كل منهم البحث عن مخرج للنجاة فإذا بالإجابة الصادمة للجميع "كَلَّا لَا وَزَرَ" وما يتلوها من حالة السكون المرعب للجميع ينتظر كل واحد منهم نبأه " يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ."

ومن أنماط التآلف الصوتي في القرآن الكريم التلاؤم الصوتي للصوامت في اللفظة القرآنية التي تتألف من حروف تتلاءم مع السياق القرآني، حيث " سلك النص القرآني طرقا من النظم في تأليف الألفاظ والأصوات تفرد بها عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى التعقيد اللفظي، أو التنافر الصوتي، وأسبابهما كثيرة ومتنوعة. فقد يتأتى التنافر الصوتي من تتابع بعض الأصوات، أو بعض الحركات الثقيلة، أو من استعمال صيغ لفظية في نسق غير ملائم لها. وقد تجنب القرآن الكريم كل هذه الأسباب"(4)، فأتت ألفاظه في منتهى الفصاحة والبيان، ولعل خطى البحث تكشف عن هذا الجانب من الإعجاز القرآني من خلال تعرض الواحدي في تفسيره للقراءات القرآنية التي تعد مادة لغوية حيَّة في الاستدلال بها على معاني المفردة اللغوية مقرونة بسياق النظم القرآني الذي ترد فيه اللفظة، ومن ذلك التلاؤم الصوتي للفظة " نُنشِزُهَا " في قوله تعالى:" وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡما"(5) حيث ذكر الواحدي قراءتين في لفظة "ننشزها" يقول –رحمه الله– :" وقرئ نَنشُرها بفتح النون وضم الشين، قال الفراء: كأنه ذهب إلى النشر بعد الطي، وذلك أن بالحياة يكون الانبساط في التصرف، فهو كأنه مطوي ما دام ميتا، فإذا عاد حيا صار كأنه نشر بعد الطي، ... وقرأ حمزة والكسائي "ننشزها بالزاي على معنى: نرفع بعضها إلى بعض، وإنشاز الشيئ: رفعه، يقال: أنشزته فنشز، أي: رفعته فارتفع، ... ومعنى الآية على هذه القراءة: كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد، ونركب بعضها على بعض"(1)، وعلى هذا فالقراءتان متلائمتان ومتوافقتان مع النظم القرآنى وسياق الآيات الذي يتحدث عن الكيفية في إحياء الله للموتى، وإذا كان الواحدي قد قدم قراءة" نَنشُرها " بالراء مع تآلفها في سياق النص القرآني على معنى قول الفراء: أن الإنسان مطوي ما دام ميتا فإذا عاد حيًّا صار كأنه نشر بعد الطي، فإن قراءة " نُنشِزُهَا " بمعنى نرفع بعضها إلى بعض توحي بعملية الضم والتركيب في إحياء العظام ثم كسوتها لحما، فقد أتت قراءة " نُنشِزُهَا " متناغمة مع سياق النص الذي يبين كيفية إحياء الله للموتى بالتصوير الدقيق الدال على عظم قدرة الله جلا وعلا، ومن هنا ندرك سر الاختيار القرآني لصوت "الزاي" الذي آل باللفظة إلى هذه المعاني المتناغمة والمتآلفة في سياق الآية .

ومما أشار إليه الواحدي من تآلف الأصوات مع سياق الآيات ما نلمحه في تفسيره لقول الله تعالى: "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبۡرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ "(2) حيث يقول:" في هذا الحرف قراءتان: وصَّى، وأوصى ... قال الزجاج:" ووصى أبلغ من أوصى؛ لأن أوصى جائز أن يكون قال لهم مرة واحدة، ووصى لا يكون إلا لمرات كثيرة"(3)، ولعل ذكر الواحدي لقول الزجاج هنا يحمل ضمنيا ميله إلى قول الزجاج وهو ما يتفق مع سياق الآيات، فإن شأن الموصَى به

عظيم وإذا كان كذلك كان دافعا إلى الحرص عليه وعدم فواته، وهذا يتطلب تأكيدا وتكرارا للوصية فكان لفظ "وصَّى" بالتشديد دالا على المبالغة والتكثير المتساوق، مع الحرص الشديد من نبي الله إبراهيم –عليه السلام– على إلزام بنيه من إقامة الدين وعبادة الله – سبحانه وتعالى– وهذا شأن أهل الحق، ومن الحكمة أن يكونوا حريصين على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم، فكان من سننهم توصيتهم لمن خلفهم بأن لا يحيدوا عن طريق الحق ولذا كانت أصوات المفردة القرآنية "وصَّى" المشددة متوائمة مع سياق الآيات، ولأن الإيصاء أمر أو نهي يتعلق بصلاح المخاطب وفي فوته ضرر، فالوصية أبلغ لأنها لا تطلق إلا في حيث يخاف الفوات "(4) .

وقد تخطئ العين فتحكم بالتنافر أوالتعقيد بتكرار صوت في اللفظ مفردا، فإذا به في سياق النظم المعجز متلألا في سماء الفصاحة والبيان فحياة اللفظ مرهونة بسياقه ونظمه.

إن تكرار صوت الكاف والباء قد يوهم بتنافر أصوات لفظة "كُبْكِبُواْ" فإذا بها في سياق النظم الإلهي شديدة التآلف والتلاؤم قال تعالى:" وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ"(1) . وقد أشار الواحدي إلى هذا التكرار بقوله:" وحقيقة ذلك في اللغة: تكرير الانكباب كأنه إذا أُلقِيَ ينكبُّ مرة بعد مرة حتى يستقر فيها"(2) ثم ذكر الواحدي قول ابن قتيبة:"(كُبْكِبُواْ) ألقوا على رؤوسهم، وأصل الحرف: كببوا فأبدل من الباء الوسطى كافا استثقالا لاجتماع ثلاث باءات،"(3) وعلى قول ابن قتيبة فإن اللفظ القرآني عدل إلى الخفة بلفظة "كبكبوا" كاشفة عن حال هؤلا المشركين حين ورودهم النار يوم القيامة فكان تكرار أصوات اللفظة موحيا لتكرار انكبابهم في النار يوم القيامة، وكأنك لتكاد تسمع من تركيب أصوات اللفظ صوت تدفعهم وتقفئهم وتساقطهم بغير نظام ولا عناية، وصوت الكركبة الصادر عن هذه الكبكبة، كما ينهار الجرف تلو الآخر، فكانت لفظة (كُبْكِبُواْ) مصورة بجرسها لحال هؤلاء الفرق الكافرة.

ومن أنماط التآلف في النظم القرآني التآلف والتلاؤم اللفظي، ومنه ما ورد من قراءات في قوله تعالى: "يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذا ضَرَبْتُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ولا تَقُولُوا لِمَن ألْقى إلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكم فَتَبَيَّنُوا إنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"(4) يقول الواحدي:" "فتبينوا". وقرئ (فتثبتوا)" يقال: تبين الأمر أي تأملته وتوسمته وقد تبين الأمر يكون لازما وواقعا". قال أبو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم: " ألا إن التبين من الله جل ثناؤه والعجلة من الشيطان فتبينوا"(5) قال الكسائي:وغيره التبين مثل التثبت في الأمور والتأني فيها وقد روي عن عبد

الله بن مسعود أنه كان يقرأ قوله تعالى:" إذا ضَرَبْتُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا" وبعضهم فتثبوا لأن التبين غاية الاحتياط ... بالتبيين أبلغ ... وخلاف التقدم، والتثبت أشد اختصاصا بهذا الموضع، وهوحسن أيضا على طريق الأمر بسبب التبين والإرشاد بذكر سبب البيان."(6) ورغم أن اللفظتين كل منهما له دلالة خاصة التي تتمايز بها عن الأخرى فإنهما منسجمتان مع النظم القرآني في الآية الكريمة لتحمل كلاهما دلالة الأخرى فـ" التبين شدة طلب البيان، أي التأمل القوي، حسبما تقتضيه صيغة التفعُّل... أي تثبتوا واطلبوا بيان الأمور ... فتثبتوا بمعنى اطلبوا الثابت الذي لا يتبدل ولا يحتمل نقيض ما بدا لكم"(7) . فمن أمر بالتبين أمر بالتثبت، وسياق الآيات يدفع إلى تقويم سلوك المؤمنين من ضرورة التحري وبيان الأمر في كل ما يأتون وما يذرون، " فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأمورا بالتبيُّن ...، فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبيَّن الرشد والصواب".(8(

وقد يكون التنافر راجعًا إلى كثرة التكرار في اللفظ الأمر الذي يؤدي إلى عدم فهم المعنى المراد وعدم وضوح الدلالة وهذا مالا نجده في البيان القرآني العالي فقد جاء تكرار الضمائر في "أَنُلْزِمُكُمُوهَا" غاية في البيان والتآلف والتلاؤم السياقي في قوله تعالى:" قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ"(1) قال الواحدي: "روي عن سعيد عن قتادة قال: والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك ولم يملكه وفي:" أَنُلْزِمُكُمُوهَا " ثلاث مضمرات: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب، وأجاز الفراء إسكان الميم الأولى، وروي ذلك عن أبي عمرو، قال: وذلك أن الحركات توالت فسكنتت الميم، وهي أيضا مرفوعة وقبلها كسرة، وتستثقل كسرة بعدها ضمة، أو ضمة بعدها كسرة"(2) يتضح من كلام الواحدي عنايته بالتآلف الصوتي واللفظي في لفظة "أَنُلْزِمُكُمُوهَا" وما "فيها من صعوبة في النطق تحكي صعوبة الإلزام بالآيات وهم لها كارهون"(3)، حيث بدأ التكوين الصوتي للَّفظة القرآنية بهمزة الاستفهام الإنكاري ثم التعبير بالمضارع المبدوء بنون الجمع وما فيه من ضمير مستتر دال على أن الملزِمين لهم غير واحد فدلالة النون تُوحي بجميع الملزِمين والمقصود بهم: الله جل جلاله و نوح عليه السلام ومن تبعه من المؤمنين، "وجيء بضمير المتكلم .. هنا للإشارة إلى أن الإلزام لو فرض وقوعه لكان له أعوان عليه وهم أتباعه فأراد أن لا يهمل ذكر أتباعه وأنهم أنصار له لو شاء أن يهيب بهم. والقصد من ذلك التنويه بشأنهم في مقابلة تحقير الآخرين إياهم"(4) فقد حملت لفظة " نُلْزِمُكُمُوهَا" بتآلفها مع نظم

الآية دلالة التحقير من هؤلاء المعارضين لنوحٍ عليه السلام كما تبين الآيات منزلة نوح عليه السلام ومن اتبعه وأنهم ما كان لهم أن يلزموهم من تلقاء أنفسهم.

وهكذا فإن القرآن الكريم أتت أصواته وألفاظة متآلفةً مع نظمه بعيدة كل البعد عن التنافر أو التعقد الذي يضِيع معه المعنى، فالنظم الإلهي نظم محكم صوتيا ولفظيا ودلاليا، إحكام تتحقق به الرسالة السماوية في التبليغ والإقناع وإقامة الحجة، كلُّ ذلك في أنماط من البلاغة السَّامية التي تملك القلوب وتؤثر العقول.

المبحث الثاني: الأثر البلاغي للأداء الصوتي (النبر والتنغيم)

إذا كان التآلف الصوتي يؤدي دورا هاما في السياق اللغوي في الكشف عن المعنى فضلا عما ينتج عنه من سهولة في الأداء اللفظي للرسالة اللغوية، فإن هناك ظواهر صوتية أدائية تتزاوج مع البنية والتركيب اللغوي تزاوجا لازما لا تنفك عنهما، بل تعد عنصرا أساسيا في الكشف عن المعنى الدقيق وبدونها قد يلتبس المعنى المراد من الكلام بدلالات أخرى تعطي معنى مخالفا للمعنى المقصود فضلا عن كونها ذات تأثير وجداني على السامع ومن ذلك ما جاء في صدد الحديث عن اليهود والنصارى:

"إِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ"(1) فتلك الصورة من صور التأثر الوجداني لسماع القرآن، فأعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، والطريقة التي يعرض بها الحق لها أثر كبير على النفس المتلقية، أثر لا ريب فيه يفصح عنه سياق القرآن الكريم كله، ومن ذلك قوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا"(2) ولذلك "قيل: فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم."(3)، ويقول الشيخ محمد رشيد رضا:" من حسن البيان وبلاغة التعبير... ما يقع في أثناء الخطاب من رفع الصوت وتكييفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف والزجر، أو غُنَّة الاسترحام والعطف، أو رنَّة النَّعي وإثارة الحزن، أو نغمة التشويق والشجو، أو هيعة الاستصراخ عند الفزع، أو صخب التهويش وقت الجدل..."(4) ومن هذه الظواهر ظاهرتي النبر والتنغيم :

1- أولا : النبر :

النبر في اللغة: ورد في لسان العرب:" نبَر، النَّبر بالكلام الهمْز، وكلُّ شيء: رفع شيئا، فقد نبره، والنبر: مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزه."(5)

وقال ابن الأنباري:" النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نبرالرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو."(6)

وفي المعجم الوسيط:" نبر الشيئ نبرا: رفعه، ويقال: نبر في قراءته أو غنائه: رفع صوته... انتبر الشيء، ارتفع،... والنبر في النطق إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق."(7)

النبر اصطلاحا:عرف الدكتور تمام حسان النبر بأنه: " ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها"(1)

وعرفه الدكتور كمال بشر بأنه: " نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا عن بقية المقاطع التي تجاوره".(2)

والملاحظ من التعريفات السابقة أنها تركز على الزيادة والوضوح في السمع، يقول الدكتور/ عبد النعيم خليل: "غير إنني آخذ عليها جميعا تجاهلها للجانب الدلالي للنبر، وانحصارها في تصوير النبر على أنه جهد عضلي أو وضوح سمعي بينما للنبر أهمية كبيرة في الكشف عن المعنى."(3)

حيث يحمل النبر قيما دلالية ترتبط ارتباطا كليا بسياق الحال، ومن هنا يمكن القول بأن النبر: "يعنِي الضغط على مقطع معين من مقاطع الكلمة، فيعطي لهذا المقطع المنبور قدرا من التمييز أو الوضوح السمعي، والذي يحمل بدوره قيمة دلالية كالانفعال أو الاهتمام، أو التقرير أو التأكيد. أو هو الذي يترجم لنا المواقف الانفعالية التي تنطوي عليها نفسه أو هو ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظروف المؤدَّى فيها"(4)

وبهذا المعنى فإن النبر يعد نوعا من أنواع السياق الصوتي، حيث يتصل اتصالا وثيقا بالنطق الصوتي بل يعد جزءا منه، والكلمة في أحد جوانبها مجموعة متتابعة من الأصوات تتشكل أحيانا من أنواع النبر بشكل يماثل تجميع مجموعة من الأصوات في فونيمات؛ كما يلعب النبر دورا هاما في تحديد المعنى اللغوي،(5) ويعد النبر من القرائن الهامة في فهم المقصود" فإن كان النبر كلميًّا أظهر التباين الدلالي في السياق، وإن كان نبرا مقطعيا أي: على مستوى المقطع أظهر التباين في الكلمة.(6)

ومن هنا يتلون النبر ليحقق الأغراض الكلامية وتوصيل المعنى للمتلقي السامع بما يحقق الرسالة البلاغية للمتكلم، فكل "زيادة في قوَّة الصوت وجهده تستلزم قوَّة في الدلالة، وارتقاءً في المعنى."(7)

ولقد اهتم الواحدي في تفسيره للقرآن الكريم بالقراءات القرآنية وبيان أبعادها الدلالية، ولأن النبر ظاهرة صوتية أدائية مرتبطة ارتباطا كلِّيًّا بالقراءات القرآنية، فإن هذا المبحث سيحاول

الكشف عن إدراك الواحدي لظاهرة النبر، وما ينتج عنه من معان تسهم في إيضاح المقصود من الكلام، ففي معرض حديثه في تفسير قوله تعالى: " قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ"(8)، يقول الواحدي:" وقُرِئ بالتشديد فمن خفف فلقوله:" أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ" فقال:" إِنِّي مُنَزِّلُهَا" ليكون الجواب كالسؤال، ومن شدَّد فلأنَّ نزَّل وأنزل في القرآن قد استعمل كل واحد منهما موضع الآخر، ولأنها نزلت مرَّات كما يروى في القصة، فكأن التشديد دلَّ على التكرير"(1)، فالواحدي قد بيَّن أن قراءة التشديد إنما تدل على تتابع نزولها مرات عديدة، وهذا المعنى أفصحت عنه قراءة النبر على صوت الزاي بالتشديد، وهو ما يتوافق مع النظم القرآني وسياق الحال حيث تكرار نزول المائدة ألزمْ بالحجَّة عليهم في قوله:" فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ."

كما بيَّن الواحدي أثر النبر في قراءة التشديد في قوله تعالى:"حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا"(2)، حيث يقول: " فمن ثقَّل أراد كثرة الانفجار من الينبوع وهو وإن كان واحدا فلتكرار الانفجار فيه يحسن أن يثقَّل، ... ودليل التشديد من التنزيل قوله:" وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا"، ودليل التخفيف قوله: " فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً"."(3)، ولعل سياق الحال هنا يتلائم مع قراءة التخفيف، فالسياق سياق محاجة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم الواضح من الآيات "وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا"(4) هكذا تدل الآيات الكريمات على عناد المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم في التسليم له وقبول الإيمان به فأخذوا يضعون شروطا وتحديات من أجل تعجيز النبي صلى الله عليه وسلم وما هذه المطالب إلا مكايدة منهم تخرج من أنفس خبيثة معاندة ومكابرة، فإذا بهم يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أمورا يعتقدونها من المستحيلات ويظنون أنهم يعجزون النبي صلى الله عليه وسلم، ولأنهم يعيشون في بيئة صحراوية ولا هم لهم سوى المكاسب الدنيوية وحبهم الشديد للحياة ، فكل ما يشغلهم هو الحصول على الماء فكان أول مطالبهم كشرط لإيمانهم المزعوم، أننا لن نؤمن بك يا محمد "حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا" أي حتى تفجر لنا من الأرض ماء مرة واحدة (ينبوعا واحد)، فقد امتزجت قراءة التخفيف مع نظم الآيات، وسياق الحال هنا في الدلالة على أنهم يطلبون أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا واحد، وذلك لاستحالة الأمر في مخيلتهم إنهم يرون مجرد أن يخرج لهم من الأرض

ينبوعا واحد دربا من الخيال، ثم تسترسل الآيات الكريمات في سرد ألوان مكابرتهم وعنادهم وسوء نيتهم وخبث سرسرتهم حتى أن نفوسهم المريضة المملوءة بالغل والحقد والكراهية قد طفحت بما يضمرونه في أنفسهم فظهر ذلك على ألسنتهم فعلا وقولا مجاهرين بقولهم:" وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ."

وفي دلالة النبر بالتشديد على التكثير ما اختاره الواحدي في قوله تعالى:" قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ"(5) حيث بين أن قراءة التشديد في قوله "يُنَجِّيكُم" أولى، لأن نجاة الله كانت لهم غير مرة فكانت " قريش تسافر في البر والبحر فإذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فأنجاهم"(1)، فدلالة النبر على التكثير أتت منسجمة مع سياق الأداء النبري على "مَن" الاستفهامية ليخرج بها إلى دلالتي التوبيخ والتقرير ففي قوله:" مَن يُنَجِّيكُم " سؤال توبيخ لهم وتقرير أن الله يفعل ذلك"(2)

ومن ذلك ترجيح الواحدي لقراءة التشديد في قوله تعالى: "والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وأقامُوا الصَّلاةَ إنّا لا نُضِيعُ أجْرَ المُصْلِحِينَ"(3) حيث يقول:" وروى أبو بكر عن عاصم " يمسكون مخففة،... والتشديد أقوى؛ لأن التشديد للكثرة، وهاهنا أريد به الكثرة لأنه قال في موضع آخر:" وتؤمنون بالكتاب كله" والإيمان بكل الكتاب يوجب التمسك الذي هو للكثرة"(4)

كما أتى النبر بالمد في قراءة "دَكًّا " في قوله تعالى:" فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا"(5) مجليا لدلالة " دَكًّا " يقول الواحدي:" قال أبو إسحاق: (يجوز " دكا " بالتنوين و" دكاء" بغير تنوين، أي جعله مدقوقا مع الأرض، يقال دككت الشيء إذا دققته.، .... ومن قرأ " دكاء" ممدودة أراد جعله مثل دكاء فحذف (مثل)، قال: والدكاء الناقة التي لا سنام لها"(6)، ومن هنا فإن النبر في قراءة المد حمل معنى التشبيه والتصوير الحسي لدلالة " دَكًّا" إذ تقرب معنى "دكا" في مخيلة السامع من خلال الربط بين الناقة ذات السّنام، والناقة التي ليس لها سنام وبين الجبل قبل الدك.

وكذلك في آية أخرى أدى النبر بالمد تناغما سياقيا في الإفصاح عن المعنى ففي قراءة " آتَاكُمْ " بالمد في قوله تعالى: "لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ"(7)، يقول الواحدي: "قوله: " ماآتاكم" قراءة العامة بالمد من الإيتاء، وقرأ أبو عمر مقصورا من الإتيان...، ووجه قراءة العامَّة أن الخير الذي يأتيهم هو مما يعطيه الله فإذا كان ذلك منسوبا إلى الله وهو المعطي لذلك، فيكون فاعل الفعل في آتاكم ضميرا عائدا إلى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديره: بما آتاكموه"(8) فقراءة

العامة بالنبر الممدود كان متناغما مع سياق الآيات لأن فيه " إدماج المنَّة مع الموعظة تذكيرا بأن الخيرات من فضل الله."(9)

وكذلك النبر بالمد في" لآتوها" في قوله تعالى:" ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لَأتَوْها وما تَلَبَّثُوا بِها إلّا يَسِيرًا"(10) حيث تساوق النبر بالمد مع سياق النظم القرآني في قولة تعالى:" سئلوا" يقول الواحدي:" وقال الزجاج: من قرأ بالقصر كان المعنى لقصدوها. والاختيار المد؛ لقوله: سُئِلُوا، فالإعطاء مع السؤال حسن. قاله الفراء وأبو علي"(1) فقراءة النبر توحي بإضمارهم الشرك وتغلغله في صدورهم وأن الفتنة تنبع من داخلهم، حيث ينقل سياق النبر بالمد تلك اللقطة الفنية المصورة لموقف البلبلة والفزع الذي يحدث هؤلاء المنافقون، ويرسم سورة نفسية هؤلاء المنافقين والذين في قلوبهم مرض. صورة نفسية داخلية لوهن العقيدة، وفساد القلب، والاستعداد للخروج من الصف غير مبقين على شيئ وفي هذا" إخبار عن ظهور فضيحتهم وعدم نصرتهم عن وقوع الشدة وإبداء المكتوم وإعطاء الفتنة وإظهار الردة"(2) .

ومن هنا ندرك أهمية السياق في الكشف عن دلالات الأداء النبري التي تفصح عن جوانب خفية مضمنة في سياقات الكلام على مستوى بلاغة الخطاب القرآني العالي ، كما توصل البحث من خلال ما عرض من شواهد فيما سبق إلى حقيقة ثابة ونتيجة راسخة في سمو البيان القرآني وعلو بلاغته تلك الحقيقة المؤكدة تظهر جليا في عدم التفاوت في الاستعمال القرآني للأداء النبري حيث أتت الأداءات النبرية في الخطاب القرآني على مستوى واحد من البلاغة خالية من أي عيب، وعلى كل فإن مراعاة السياق النبري في الحديث كان له دور بارز في إيضاح بلاغة الكلام على مستوى الخطاب القرآني العالي.

-2التنغيم:

التنغيم في اللغة: جاء في لسان العرب:" أن النغمة جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها، وهو حسن النغمة، والجمع نغم ... قال ابن سيدة هذا قول اللغويين قال: وعندي أن النغم اسم للجمع كما حكاه سيبويه، من أن حلقا وفلكا اسم لجمع حلقة وفلكة لا جمع لهما، وقد يكون نغمٌ متحركا من نغم، وقد تنغَّم بالغناء ونحوه، وأنه ليتنغم بشيئ ويتنسم بشيئ أي يتكلم به، والنغم: الكلام الخفي، والنغمة الكلام الحسن. وقيل هو الكلام الخفي نَغَمَ يَنْغَمُ ويَنْغِمُ ، قال: وأُرى الضمةَ لُغَةً، نَغْماً، وسكت فلان فما نَغَمَ بِحَرْفٍ وما تنغم مثله، وما نغم بكلمة"(3)

التنغيم في الإصطلاح: "هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق"(4)

ويعرفه الدكتور/ محمود السعران بأنه:" المصطلح الصَّوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام"(5) ويعرفه الدكتور/ رمضان عبد التواب بأنه: "رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة ... "(6)

هذا التنويع الصوتي في أداء الكلام يرتبط بـ" بالمقام المقول فيه، فكما أن لكل مقام مقالا فكذلك لكل مقال طريقة في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه"(1) ويرى الدكتور/ عبدالنعيم خليل "أن للتنغيم عدة وظائف لغوية تجعله بحق عنصرا فعالا من عناصر السياق الصوتي ويمكن لنا أن نجمل هذه الوظائف فيما يلي: الوظيفة النحوية حيث يلعب التنغيم دورا كبيرا في توجيه الإعراب والتفرقة بن الأساليب كالتفرقة بين أسلوبي التعجب والاستفهام، وكذلك تحديد أسلوب النداء عند حذف الأداة، والتفرقة بين استخدام يا للنداء واستخدامها للندبة، وتحديد أسلوب الاختصاص، فضلا عن دور التنغيم في تحديد الإثبات والنفي في الجمل التي لم تستعمل فيها الأداة. وإلى جانب الوظيفة النحوية يحمل التنغيم وظيفة دلالية، فهناك الكثير من الأدوات التي تحمل أكثر من وظيفة دلالية، ويمكن التمييز بين هذه الدلالات عن طريق التنغيم، كما يلعب التنغيم دورا في تقدير المحذوف.".(2)

وإلى جانب هذه الوظائف يلعب التنغيم دورا كبيرا في الكشف عن معاني الألفاظ والأساليب داخل النظم ولذلك يعد التنغيم" قمَّة الظواهر الصوتية التي تكسو المنطوق كلَّه، وتتخلل عناصره المكونة له وتكسبه تلوينا موسيقيا معينا بحسب مبناه ومعناه، وبحسب مقاصده التعبيرية وفقا لسياق الحال أو المقام."(3)

ولذلك حرص القرآن الكريم على ضرورة تلقي كلام الله مشافهة تمثُّلا للأمر الإلهي في قول الله عز وجل:" فَإِذَا قَرَأۡنَاهُ فَاتَّبِعۡ قُرۡآنَهُ"(4)، ومن هنا حرص قُرَّاء القرآن الكريم على التواتر في سماع القرآن الكريم وتلقِّيه مشافهة وذلك لأن "النص القرآني يحرص على الإيقاع النغمي في تعيين الأسلوب لبيان المعنى فضلا عن الحفاظ علي التناسب بين أصوات كلماته، لذا فهو راعى فكرة العلاقة بين الأصوات ودلالاتها ووضعها في نسيج لغوي بلغ الغاية في الدقة والإحكام".(5)

ولقد حرص مفسروا القرآن الكريم على الكشف عن تلك العلاقة بين الأصوات ودلالاتها ومن بينهم الإمام الواحدي: حيث أشار إلى دور التنغيم في الكشف عن معنى قوله تعالى:" فَلَمَّا أَلۡقَوۡا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ السِّحۡرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ الۡمُفۡسِدِينَ"(6)، من خلال ذكره للقراءات الواردة في كلمة السِّحۡرُ وما يترتب على التنغيم من تغيُّرٍ في الأساليب واختلافٍ في المعنى فذكر الواحدي: أن "ما" في قوله " مَا جِئۡتُم بِهِ " موصولة بمعنى الذي، ثم بين أن "ما" استفهامية على قراءة أبي عمرو (آلسحر)

بالاستفهام يقول الواحدي:" ما ههنا موصولة بمعنى الذي وهي مرتفعة بالابتداء وخبرها السحر... وقرأ أبو عمر (آلسحر) بالاستفهام و(ما) على هذه القراءة استفهام يرتفع بالابتداء، و"جئتتم به" في موضع الخبر كأن قيل: أي شيئ جئتم به؟ ثم قال على وجه التقرير والتوبيخ (آلسحر)؟"(1)، وعلى هذا فالمعنى على قراءة الجمهور هو الإخبار بأن الله سيبطل ما جاءوا به من السحر، وعلى قراءة التنغيم بالمد يكون المعنى أن ماجئتم به (آلسحر) أمر هين، وفيه مزيد تحقير لهؤلاء القوم، وعلى هذا جاء الكلام على وجه التقرير في السياق الآدائي الخبري، والتوبيخ في السياق الأدائي الاستفهامي، وكلا القراءتين تناغمتا مع سياق الحال مفصحة عن الإعجاز البلاغي للأداء الصوتي في القرآن الكريم.

كما يعمل التنغيم على شد انتباه السامع وإفهامه وذلك من خلال تنميط الأساليب، إذ يهيمن التنغيم على دلالة الأسلوب وتحميله معان بلاغية آخرى ومن ذلك ما تؤديه النغمة الصاعدة في " فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ" في قوله تعالى:"إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ"(2)، حيث حمل الاستفهام هنا معنى الأمر انتهوا و" إِنَّما جاز ذلك في صيغة الاستفهام أن يكون على معنى النَّهي، لأن الله تعالى ذمَّ هذه الأفعال وأظهر قُبحها، وإذا ظهر قبح الفعل للمخاطب، ثم استفهم عن تركه لم يسعه إلا الإقرار بالترك، فكأنه قيل: أتفعله بعدما قد ظهر من قبحه ما ظهر، فصار المنهيُّ بقوله: " فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ " في محل قد عقد عليه ذلك بإقراره، فكان هذا أبلغ في باب النهي من أنْ لو قيل انتهوا ولا تشربوا"(3) و في التعبير القرآني بأسلوب الاستفهام رفق من الله سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين في تحريمه عليهم تلك الأصناف " فجاء الاستفهام لتمثيل حال المخاطبين بحال من بيَّن له المتكلم حقيقة شيء ثم اختير مقدار تأثير ذلك البيان في نفسه".(4)

ومن ذلك قوله تعالى:" هَلْ أتى عَلَى الإنسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا" قال الواحدي: "قال ابن عباس، ومقاتل والمفسرون: قد أتى، وهو قول أهل المعاني أيضا" ويرجع هذا المعنى إلى الأداء التنغيمي حيث خرجت "هل" عن أصل معناها إلى معنى " قد التي تدل على التقرير، فالجملة هنا جملة تقريرية وليست استفهامية، وذلك عن طريق النغمة الهابطة".(5)

وكذلك كشف التنغيم عن معنى التوبيخ والتهديد للاستفهام في قوله تعالى" أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ"(6)، فقد ذكر الواحدي في معنى الهمزة أكثر من وجه للقُراء والمفسرين حيث يقول:" قراءة العامة بفتح الهمزة وقطعها من اصطفى على معنى أأصطفى ثم يحذف ألف الوصل وهو استفهام توبيخ، وتقريع،... وقرأ نافع في بعض الروايات:" أَصْطَفَى الْبَنَاتِ

عَلَى الْبَنِينَ" موصولة بغير استفهام. وإذا ابتدأ كسر الهمزة على وجه الخبر كأنه اصطفى البنات فيما يقولون، ... ويجوز أن يكون اصطفى تفسيرا لكذبهم الذي نسب إليهم في قولهم:"وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" ... ويجوز أن يكون قوله: "أَصْطَفَى" متعلقا بقوله:" لَيَقُولُونَ" على أنه أريد حرف العطف فلم يذكر، واستغنى بها من الاتصال بالأولى عن حرف العطف ... وذكر الفراء وجها آخر وهو: أنه أراد الاستفهام، وحذف حرف الاستفهام..."(1)، ولعل سياق التنغيم بالاستفهام على الهمزة أكثر انتظاما مع السياق العام للآيات، حيث يحمل معاني التقريع والتوبيخ لهؤلاء المشركين ففي الكلام "ارتقاء في التجهيل، أي لو سلَّمنا أن الله اتخذ ولدا فلماذا اصطفى البنات دون الذكور؟ أي اختار لذاته البنات دون البنين والبنون أفضل عندكم؟!"(2)، فالسياق العام يؤكد إفكَهم لذا كان السياق التنغيمي بالاسفهام كاشف عن دلالات الآيات ومجليا لمعانيها.

وقد حدد التنغيم معنى)ما(في قوله تعالى:" أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ"(3) حيث ذكر الواحدي معنيين لـ" ما" إذ يقول:" فأما المعنى: ففيه وجهان لأهل التأويل: أحدهما: أن ما هاهنا تعجب ... معناه: فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار، أو على عمل أهل النار وهو قول الكسائي وقطرب. وقال أحمد بن يحيى: الصبر معناه ههنا: الجرأة أي: ما أجرأهم على أعمال أهل النار... والثاني من التأويل: أن (ما) في هذه الآية استفهام يتضمن التوبيخ، معناه: ما الذي صبَّرهم؟ وأي شيئ صبَّرهم على النار حين تركوا الحق واتَّبعوا الباطل؟ ... وقيل أي شيئ غرَّهم من النار أنهم يصبرون عليها؟"(4)، والذي يحدد معنى التعجب في الآية هو السياق التنغيمي الصوتي "فقراءة (ما أصبرهم) بالفونيم الثانوي يفصح عن أسلوب التعجب الموجود في هذه الكلمة مادامت قد جاءت على صيغة أفعل".(5) كما يؤدى السياق الصوتي التنغيمي دورا هاما في بيان معنى التحسر والنَّدم في قوله تعالى:" أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ"(6)، فالتنغيم على حرف النداء الياء خرج به إلى معنى الندبة، يقول الواحدي:" قال مقاتل: ... يا حسرتى يعني يا ندامتا. ... قال أبو إسحاق: وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها وتأويله أن الحسرة قد حلت به ولازمته"(7)، فالأداء التنغيمي على حرف النداء الياء يفصح جهاراعن مدى الحسرة والألم في صدر المفرِّط في حقوق الله جل وعلا " فيصرخ بما حدَّث به نفسه فتكون هذه الندامة المصرَّح بها زائدة على التي أسرَّها"(8) لأنه " لم يكفه أن ضيَّع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله"(9)، وهذا ما يدلَّ عليه ختام الآية " وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ" أي بأولياء الله.

ومن هنا فالأداء الصوتي للتنغيم كسياق صوتي له دور كبير في الإفصاح عن المعاني القرآنية وأساليبها لذلك فطن لها الواحدي وإن لم يصرّح بها إلا أن ذلك الأثر الذي قرأناه يظهر من خلال تعرضه للقراءات القرآنية، فالقارئ له دور كبير في تحديد معنى الكلام في سياقه الصوتي من خلال تغيير الآداء حسب المقامات ولهذا السبب حرص علماء القراءات والتجويد على ما ورد من قراءات متواترة عن الصحابة والتابعين مقرونة بسياقات النص والمقام من أجل السلامة مما يكتنف هذا المجال من مخاطر قد تؤدي إلى الانحراف عن مقصود الكلام.

المبحث الثالث: الأثر البلاغي للإيحاء الصوتي

يتألف النَّظم من مجموعة متتابعة من الأساليب التي تتكون من الكلمات التي تتشكل نتيجة لتتابع صوتي معين ذا دلالات إيحائية منسجمة مع السِّياق العام للنص، ولقد تنبه العلماء القدامى إلى ظاهرة الإيحاء الصوتي يقول الخليل بن أحمد:" كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر"(1) ويقول ابن جني:" فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فبابٌ عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها ويحتذونها عليها"(2) ويقول الإمام عبدالقاهر: "أن لكل نوع من المعنى نوعًا من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبًا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذًا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل. وإذا كان الشيء متعلقًا بغيره، ومقيسًا على ما سواه، كان من خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام، وتقريره في النفوس"،(3) فالألفاظ تحمل دلالات ذات أبعاد دلالية إيحائية تتناسق مع السياق النظمي للنص حيث يعد الإيحاء" نتاج لغوي يتجاوز الفهم الظاهري للكلمة أو إشارتها المعرفية، وهو ذو قيمة وأهمية كبيرة في الوصول إلى تصور كامل للمعنى"(4) السياقي المستنطق من " كل ما يحيط باللفظ أو التركيب أو النص من ألفاظ سابقة أو لاحقة وقد يشمل النص كله، وملابسات وأوضاع غير لفظية، وأوضاع المخاطب والمخاطب وطبيعة وغرض الخطاب والمناسبة التى اقتضته وزمان ومكان الخطاب أو النص"(5)؛ ولقد زخر القرآن الكريم بالكثير من الألفاظ الإيحائية ذات المعاني المستوحاة من الصوت القرآني من خلال نظمه الفريد ورصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دونه كل ترتيب ومن نماذج الإيحاء الصوتي في القرآن الكريم قوله تعالى: " فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ"(6) يقول الواحدي: " قال الليث: الزفر والزفير: أن يملأ الإنسان صدره غما ثم يزفر به، فالزفير:

إخراج النفس، والشهيق: رد النفس...وهو قول جميع أهل اللغة. قال أبو إسحاق: هما من أصوات المكروبين المحزونين، وحكى عن أهل اللغة جميعا أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالنهيق والشهيق بمنزلة آخر صوته، ونحو هذا قال المفسرون"(7) فقد جاءت لفظتي:" زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ " موحيتين بصوت أهل النار وما أصابهم في جهمنم من كروب ضاقت بها أنفاسهم لهم فيها زفير وشهيق من الحر والسموم "يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ"، وقد أفصح الواحدي عن هذا الإيحاء عندما ذكر قول الليث في معنى الشهيق والزفير، حيث ربط الزفير بالغم والألم، وفي قول أبي إسحاق أنَّهما من أصوات المكروبين المحزونين فأتت لفظتي شهيق وزفير كاشفتين في سياق الآيات عن حال فريق أهل النار، فإذا كان" الزفير: إخراج الأنفاس بدفع وشدة بسبب ضغط التنفس. والشهيق: عكسه وهو اجتلاب الهواء إلى الصدر بشدة لقوة الاحتياج إلى التنفس"(1)، فإن ذلك يكون أشد بؤسا وأكثر ألما على المخلدين في النار، كما تحمل اللفظتان مع سياق الآيات معاني الزجر والتخويف من هذا المآل الذي يؤول بأصحاب النار، فسموم النار شهيقهم وزفيرهم؛ وإذا كانت حياة البدن ترتبط بعمليتي الشهيق والزفير إذا فقدتا لم تكن هناك حياة، فإن شهيقهم وزفيرهم من سبل بقائهم أحياء في نار جهنم" خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ".(2)

ومن الألفاظ القرآنية ذات الدلالات الإيحائية في سياق النظم القرآني نظرا لتركيبها الصوتي لفظة "كبكبوا " في قوله تعالى:" وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُون فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ"(3) فلفظة " فَكُبۡكِبُواْ " توحي تكرار انكبابهم في نار جهنم يقول الواحدي:" قال مجاهد: دهوروا. وقال مقاتل: قذفوا. ... وحقيقة ذلك في اللغة: تكرير الانكباب كأنه إذا ألقي مرة بعد مرة حتى يستقر فيها"(4)، فتكرير صوتي الكاف والباء موحي بتكرار المعنى حتى لنكاد" نسمع صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم في نار جهنم بلا انتظام، كانهيار الجرف فتتبعه الجروف وهو لفظ إيحائي مصور لمعناه وإنهم لغاوون ضالون كما انتظمت لفظة " فَكُبۡكِبُواْ " مع "بُرِّزَتِ" وما فيها من تضعيف مبالغة في إظهار جهنم للغاوين" الذين ابتعدوا عن طريق الهدى وكذَّبوا بيوم القيامة، فهم واقفون على مشهد الجحيم يسمعون الزجر والتوبيخ وما فيهما من تقريع قبل أن يكبكبوا في نار جهنم هم وما يعبدون من دون الله، وهكذا قد حمل اللفظ في سياق الآيات معاني التهويل والتخويف والتوبيخ واللوم على هؤلاء المشركين بالله آلهة أخرى.

كما يتجلى الإيحاء الصوتي للفظة القرآنية في لفظة "صرصر" في قوله تعالى:" فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ"(5)، فقد كشف الواحدي عن معنى: "صَرْصَراً" فيقول: "قال الفراء: هي الباردة تحرق كما تحرق النار.. وذكر ابن السكيت... ريح صرصر فيه قولان يقال: (صر) من الصِرِّ وهو البرد ... وقال: الريح الصرصر الشديدة الصوت..."(7)، ثم بيَّن الواحدي أن "صرصر" من ملائمة الصوت للمعنى فيقول: " ومن هذا يقال: صرصرَ الأخطب والصقر يصرصر صرصرة"(1)، وفي هذا يشير الواحدي إلى دلالة صوتي الصاد والراء المكررتين وما تحمله هذه اللفظة من إيحاء" فالصرصر وصف خاص للريح المرسلة بالعذاب، فالكلمة بحروفها الاهتزازية، وحروفها المكرورة، الصاد والراء توحي بشدة الريح، وتلاحقها وطول زمنها، فالصاد الصفيري يحمل معه صوت صفير الريح، وأزيزها، كما يحمل صوت اصطكاك الأسنان بسبب شدة البرد، أما حرف الراء المكرورة، فيجسد الصورة التكرارية لذلك الصوت، واستمرارية هبوب تلك الريح، وجاء تكرار هذين الحرفين موحيا بأثره في الحالة النفسية التي عاشها قوم عاد"(2)، إن سياق الآيات يصور مشهد هلاك قوم عاد بعد إعجابهم بأنفسهم وتباهيهم بقوتهم فإذا بالرياح ذات الصوت الصرصري المُرعب تجتاحهم في أيَّام نحسات تذيقهم"عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ" فما أسوأ عاقبتهم وما أشد بؤسهم وإنه لنذير أليم ينتظر كل متكبر في الأرض معترض على طاعة خالق الأرض والسماوات.

وفي سياق قوله تعالى:" يا أَيُّها النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكم إنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ"(3) وردت لفظة "زَلْزَلَةَ" موحية بهول مشهد البعث يوم القيامة يقول الواحدي:" هذه الآية بيان عما يوجبه شدة أهوال القيامة من التأهب لها"(4) ويقول في معنى الزلزلة:" الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة، وكأن أصله من قولهم: زلّت قدمه، إذا زالت عن الجهة بسرعة، ثم ضوعف فقيل: زلزل الله قدمه، كما قيل: دكه ودكدكه"(5)، نعم، لقد التفت الواحدي إلى التكوين الصوتي للفظة زلزل وما فيها من معنى الزوال والسرعة والاضطراب، إنها" تصوير حي لحال الكون بما فيه من جبال، وبحار، وسماوات"(6) كما أن لفظة الزلزلة مضافة إلى لفظة الساعة وهي"علم بالغلبة في اصطلاح القرآن على وقت فناء الدنيا والخلوص إلى عالم الحشر الأخروي"(7) توحي بالمشهد المروع الذي يعتري الناس فجأة فـ"تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ

وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيد"، وبهذا فإن لفظة " زلزل" وما بها من دلالات إيحائية قد شكلت مع السياق العام للآيات صورة مشهدية مروعة عن يوم البعث، كما حملت في مضامينها السياقية "نداء للناس كلهم من المؤمنين وأهل الكتاب والمشركين الذين يسمعون هذه الآية من الموجودين يوم نزولها ومن يأتون بعدهم إلى يوم القيامة، ليتلقوا الأمر بتقوى الله وخشيته"(8) فكانت تلك اللفظة بمثابة هذة عنيفة للقلوب الغافلة عن طاعة ربها بهذا اليوم العصيب يوم القيامة " يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا."

الخاتمة

بعد أن قدم البحث محاولة لدراسة: الأثر البلاغي للسياق الصوتي عند الواحدي دراسة تحليلية في تفسيره للقرآن الكريم المسمى بـ"البسيط" توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

-اعتمد الإمام أبو الحسن الواحدي على السياق في تفسيره للنص القرآني المعجز.

-كشفت الدراسة عن وعي الإمام الواحدي بالجانب البلاغي في تفسيره البسيط عن طريق التصريح حينا والإشارة حينا آخر

-اعتنى الإمام الواحدي بالسياق الصوتي عناية كبيرة وذلك من خلال ما تعرض له من قراءات النص القرآني.

-أتت أصوات القرآن الكريم متلائمة ومتآلفة في أعلى قمم الفصاحة والبلاغة.

-لعب الأداء الصوتي المتمثل في النبر والتنغيم دورا هاما في الكشف عن دلالة السياق الصوتي وتجلياته الجمالية.

-الإيحاء الصوتي أدى دورا مائز في جلاء المعاني ووضوحها

-كشفت الدراسة عن أن بلاغة القرآن الكريم بلاغة لا يضاهيها تدانيها بلاغة ولا يضاهيها قول بشر.

كما انتهت الدراسة إلى التوصيات الآتية :

-القرآن الكريم معين لا ينضب وما زلنا في حاجة إلى كثير من الدراسات السياقية للكشف عن أنوار أسراره ، وتجليات معانية.

-يوصي البحث بدراسة المسائل النحوية، والقراءات القرآنية في التفسير البسيط للواحدي.

قائمة المصادر والمراجع

١.د.أسامة عبدالعزيز جاب الله، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، ط2، دار مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، طنطا، 2009م.

٢.بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،ط 1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، 1376هـ- 1957م.
٣.د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط 1994م، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.
٤.جاسم غالي الرومي، التلاؤم الصوتي وأثره في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية، العراق، العدد16.
٥.جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت، 1414هـ.
٦.د.جنان محمد مهدي، الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق النص القرآني، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد 21، ،2010م.
٧.خالد فرحان البداينة، الدلالة الإيحائية في الألفاظ الاهتزازية في القرآن الكريم، حوليات آداب عين شمس، المجلد 50، عدد يناير- مارس، 2022م.
٨.رمضان عبد التواب المدخل إلى علم اللغة، ط3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1417هـ، 1997م.
٩.سعادة بثينة، النبر والتنغيم في القراءات القرآنية قراءة حفص وورش أنموذجا، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2016.
١٠.سهل ليلى، التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، يونيو 2010م، العدد 7.
١١.د. صلاح الدين أحمد موسى، ود. عبد العزيز بن الحسين، أثر الظواهر الصوتية في تفسير "مفاتيح الغيب" دراسة وصفية تحليلية ، جامعة زايد، الإمارات العربية المتحدة، مجلة جامعة الوصل العدد 64، يونيو 2022.
١٢.الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
١٣.عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م.

١٤.د. عبد القادر بن فطة، أصالة التنغيم في القرآن الكريم، مجلة حوليات التراث، جامعة معسكر الجزائر، 2018، العدد 18.

١٥.عبدالنعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007 .

١٦.د. عقيد خالد العزاوي:

a.جماليات السياق القرآني، ط1، دار العصماء،سوريا،2016م.

b.البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ، ط 1، دار العصماء، سورية 2016.

١٧.أبو الفتح بن جني، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.ج 1، 2.

١٨.د.كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000 م.

١٩.مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،، ط2، محمع اللغة العربية بالقاهرة، 1392هـ-1972م، ج2.

٢٠.محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، توزيع دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

٢١.محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، ط4، مكتبة الآداب، القاهرة، 1427هـ، 2006م.

٢٢.د. محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ط1، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة، 1988.

٢٣.محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م،ج8 .

٢٤.محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط 7، مكتبة وهبة، 1430هـ- 2009م.

٢٥.محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 1385-1422هـ - 1965- 2001م، ج 14.

٢٦.د. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.

٢٧.مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، راجعه واعتنى به، د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1424هـ، 2003م.

٢٨.د نعمة رحيم العزاوي، مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة،ط 1، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 1990.